الكلام على قوله تعالى :

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب

(حول تفسير سورة الحجرات)

من الصفحة ١٢١ حتى الصفحة ١٤٣

للشيخ الإمام

عبد الله سراج الدين الحسيني

بناء على توجيهات ولده

المهندس الشيخ

محمد محيي الدين سراج الدين

رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيِّمة

وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام

من موقعه الرسمي والوحيد

WWW.SRAJALDEN.COM

قسم مؤلفات الإمام

ـ المؤلفات المكتوبة وقبسات من المؤلفات

مدير الموقع :

الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

قوله تعالى:

﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾.

الكلام على هذه الآية الكريمة له وجوه:

الأول: قوله تعالى: ﴿إنّما المؤمنون إخوة﴾ هذا عقد وثيق صادر من ربّ العالمين، عهد به إلى جميع المؤمنين على اختلاف ألوانهم وأنسابهم، وأمكنتهم وأزمنتهم، واختلاف ألسنتهم، يُعلمهم سبحانه ويعلن لهم أنَّ كل مؤمن هو أخ لكل مؤمن، سواء آخاه أَمْ لم يُؤآخه، فإنّ الله تعالى هو الذي آخى بين جميعهم، وسواء عَرفه أم لم يعرفه، وسواء صاحبه أم لم يصحبه، وسواء كان هذا من أهل المشرق وذاك من أهل المغرب، أو من الشمال أو الجنوب، وسواء كان عربياً أو غير عربي أو أحمر أو أبيض أو أسود، كل أولئك سواء في هذه الأخوة التي عقدها الله تعالى بينهم، وحَقَّ سبحانه لهذه الأخوة حقوقاً فليرعوها، فإنَّه

---

(١) كما في (الدر المنثور) وقد رواه ابن كثير من طريق ابن أبي حاتم بإسناده، ثم قال ابن كثير: ورواه النسائي عن محمد بن المثنى عن عبدالله عن أبيه، وهذا إسناد جيد قوي، ورجاله على شرط الصحيح ـ اهـ.

سبحانه وتعالى هو الذي عقد هذه الأخوة بينهم، وهو سبحانه سَوف يسألهم عن حقوق هذه الأخوة بينهم ـ وهذه تسمى الأُخوة العامة، وعاقدها بينهم هو الله تعالى رب العالمين، فإذا أضيف إليها أخوة خاصة وهي التي تصدر عن عقد التآخي بينهم زادت حقوقاً فوق الحقوق.

فالأولى وهي العامة كالأخوة لأب، والثانية وهي الخاصة كالإخوة لأب وأم ـ ولكلٍ حقوق وواجبات إيمانية لا امتنانية ولا تفضيلية، بل هي حقوق من التكاليف الإيمانية، التي شرعها الله تعالى، فإن الشريعة جاءت ببيان حقوقه سبحانه على عباده، وحقوق العباد على بعضهم.

أما حقوق الأخوة العامة فقد جاء بيانها في الآيات القرآنية، وفي الأحاديث الواردة عن سيدنا رسول الله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم**﴾.

فانظر كيف جمع سبحانه في هذه الآية بين حقوقه وحقوق عباده على بعضهم، وأنَّ ذلك كله من الإيمان، واعتَبِر من هذه الآية الكريمة: فإن أول وصف يصف الله تعالى به المؤمنين والمؤمنات ـ هو أنهم بعضهم أولياء بعض، وفي هذا تنبيه حتى لا يتساهل في ذلك المؤمن والمؤمنة ـ والمعنى: أنَّهم بينهم الولاء والمحبة والنصرة، فهم أحباب لبعضهم، وأنصار على الحق لبعضهم، ونصحاء لبعضهم، ومتعاونون مع بعضهم، بينهم التراحم والتوادد والتعاطف والتلاطف، لا الفحش ولا المغالظة، ولا التدابر ولا التحاسد، قال ﷺ: «ترى المؤمنين في توادهم

وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» الحديث كما سيأتي.

كما وصف سبحانه المؤمنين باعتبار أنهم نصحاء وأحباب بعضهم، فهم يأمرون بالمعروف ولكن على طريق المعروف والنصيحة، لا على سبيل العنف والفضيحة، وينهون عن المنكر بدون ارتكاب منكر ولا إيذاء، ولا احتقار ولا انتقاص، فإن الفحش والغلظة لا تجوز من المسلم على أخيه.

وأما الأحاديث النبوية الواردة في حقوق المؤمنين فيما بينهم فهي كثيرة وشهيرة، أذكر جملة منها لَعَلّها تنبه الغافل وتعلم الجاهل، أَوْ تكون عبرة للعاقل بحيث يتضح له جلياً الفوارق الكبرى بين مبادىء دين الإسلام وما يدعو إليه من الحقوق والواجبات فيما بين المسلمين، وبين ما عليه كثير من المسلمين في زمننا من الغش والمكر والخداع، والتباغض، والتحاسد، والتهاجر والانقسام على بعضهم إلا من رحم الله تعالى فوقاه وتولاه.

رَوى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً ـ وجاء في رواية له: «وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله تعالى».

المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكذبه ولا يحقره.

التقوى ههنا ـ ويشير إلى صدره الشريف ﷺ ثلاث مرات.

بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كلّ المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه».

وجاء في (الصحيحين) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً».

فقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**لا تحاسدوا**» نهى رسول الله ﷺ عن الحسد المذموم وهو المراد عند الإطلاق في باب النهي، وهذا الحسد هو تمني زوال النعمة عن المحسود، وهو قسمان:

فالأول: هو تمني زوال النعمة عن المحسود وانتقالها إليه.

والثاني: هو تمني زوال النعمة عن المحسود ولو لم تصل إليه ـ وهذا أخبث وأقبح.

ولما كان الحسد المذموم فيه أذىً للمحسود، وحب الضرر له، فقد أمر الله تعالى بالتعوذ من شر حاسد إذا حسد، وقرن ذلك لعظم شره؛ قرن ذلك بشر الساحر، فقال تعالى: ﴿**قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد**﴾.

وأما حسد الغبطة وهو أَنْ تفرح بما أعطى الله تعالى غيرك من الخير، وتتمنى له بقاء النعمة عليه ودوامها له، وأنْ يُعطيك الله تعالى مثل ما أعطاه من الخير أيضاً، فهذا هو حَسد الغبطة، مطلوب في الخير النافع، وهو المراد بالحديث الذي رواه الشيخان وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لا حسد إلا في اثنتين: **رجل** آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار، **ورجل** آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: **رجل** آتاه الله الحكمة ـ أي: السنة

والأحاديث النبوية الشريفة ـ فهو يقضي بها ويُعلمها، ورجل آتاه الله مالاً فسلّطه على هلكته ـ أي: إنفاقه ـ في الخير».

وقد حذر النبي ﷺ مِنْ ضرر الحسد المذموم، وأنّه يأكل حسنات الحسود ويُحرقها:

روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والحسد فإنّه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» أو قال: «العشب» ورواه البيهقي وابن ماجه أيضاً.

فاحفظ حسناتك على نفسك من حريق الحسد لها.

وقد بين النبي ﷺ أن الإيمان والحسد ضدان لا يجتمعان:

روى ابن حبان في (صحيحه) ومِنْ طريقه أيضاً البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا يجتمع في جوف عبد مؤمن غبار في سبيل الله وفيح جهنم، ولا يجتمع في جوف عبد الإيمان والحسد».

وقد تبرأ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الحاسد والكاهن:

روى الطبراني عن عبدالله بن بُسر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «ليس منّي ذو حسد، ولا نميمة، ولا كَهانة، ولا أَنَا منه» ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿**والذين يُؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً**﴾.

وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ولا تناجشوا» في هذا الحديث نهي عن النجش في البيع، وهو أن يَزيد الرجل في ثمن السلعة وهو لا يريد شراءها إما لنفع البائع بزيادة الثمن له أوْ لإضرار المشتري.

وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**ولا تباغضوا**» لما كان المؤمنون إخوة؛ وجب عليهم بمقتضى حق إخوة الإيمان أن يتحابوا ولا يتباغضوا، كما روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم».

فهذا الحديث يَدلّ على أنّ التحابب بين المؤمنين هو من جملة شعب الإيمان التي يتوقف عليها دخول الجنة، وطريق التحابب هو إفشاء السلام ـ أي: نشره والإكثار منه، وجميع ذلك يعتبر من باب الإيمان لا من باب الامتنان.

وقد جاء في رواية الترمذي وغيره ما يدل على أنّ التباغض بين المؤمنين هو يحلق الدين.

فقد روى الترمذي والبزار بإسناد جيد والبيهقي عن الزبير بن العوام رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ قال: «دبّ إليكم داء الأمم قبلكم، الحسد والبغضاء وهي الحالقة؛ أما إنّي لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين، والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تُؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على ما تحابون به؟ أفشوا السلام بينكم».

فالحسد والبغضاء والحقد ذلك داء الأمم قبل هذه الأمة، وذلك هو الذي أفسد عليها أمر دينها ودنياها، ومزقها شر مُمَزَّقْ.

وقد أخبر النبي ﷺ أنَّ هذا الداء القبيح سوف يدبُّ إلى هذه الأمة فيفسد عليها دينها ودنياها، كما أفسد من قبلهم فليأخذوا حذرهم.

وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿**ولا تدابروا**﴾

التدابر: هو الهجران والتقاطع، مأخوذ من تولية الرجل دبره ـ أي: عقبه ـ لصاحبه معرضاً عنه بوجهه مقاطعة له، كما جاء في رواية لمسلم: عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله تعالى».

فإن قيل: أين أمر الله تعالى في القرآن الكريم بذلك؟

فالجواب: إنّه أمر مشار إليه بقوله تعالى: ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾، فإنّه خبر عن الحالة التي شرعها الله تعالى للمؤمنين، فإنها حالة يجب أنْ يكونوا عليها؛ فهو بمعنى الأمر[1].

فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن الهجر والتقاطع، وقد جاء في (الصحيحين) عن أبي أيوب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيصدُّ هذا ـ أي: يعرض ـ ويصدُّ هذا، وخيرُهما الذي يبدأ بالسلام».

وروى أبو داود عن أبي حِراش السلمي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من هجر أخاه سنةً فهو كسفك دمه».

قال العلماء: وهذا الهجر المنهي عنه هو التقاطع بسبب أمور دنيوية، فأما الهجر لأجل الدين فيجوز الزيادة على الثلاث: إذا كان هذا الهجر فيه زجر للمهجور وردع له عن فساده وغيّه، ويكون هذا الهجر سبباً لرجوعه عن غيّه وضلاله، ومخالفته لأمر الشريعة، وأمّا إذا كان الهجر سوف يَزيده فساداً أو انطلاقاً في

---

(١) وهناك جواب آخر، ولكن هذا الجواب أظهر كما بين ذلك الحافظ في (الفتح).

الغيِّ ومخالفة أوامر الله تعالى، ويحمل المهجور إلى فساد أكبر مما هو عليه فلا يجوز الهجر؛ بل الواجب المواصلة بوجهٍ من الوجوه بقصد نُصحه والتقليل من فساده وغَيّه.

واعلم بأن البغضاء والشحناء تمنع رفع الأعمال الصالحة:

روى مسلم والترمذي وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «تُعرَض الأعمال في كل خميس واثنين، فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امرىء لا يُشرك بالله شيئاً إلا مَنْ كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول الله تعالى ـ أي: للملائكة ـ اتركوا هذين حتى يصطلحا».

قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**ولا يبع بعضكم على بيع بعض**».

«ولا يبع بعضكم» هذا نهي تحريم، قال الحافظ الهيتمي رحمه الله تعالى: عند هذا الحديث: «ولا يبع بعضكم...» أي: معشر المكلفين من المسلمين والذميين، والتقييد بالمسلم في الأخبار ـ أي: بعض الأحاديث ـ هو للغالب خلافاً لمن أخذ بمفهومه هو ـ أي: فإنّ الأخذ بالمفهوم لا دليل عليه ـ بل الواجب على المسلم أن يعامل الذمِّيَّ كما يعامل المسلم في الصدق والأمانة، وعدم الإضرار به لا في ماله ولا دمه ولا عرضه. اهـ.

«**ولا يبع بعضكم على بيع بعض**» فلا يجوز لأحد أن يقول لمشتري سلعة في زمن الخيار يقول له: افسخ هذا البيع وأنا أبيعك مثله بأرخص من ثمنه، أو أجود منه بثمنه؛ وذلك لما فيه من الإيذاء الموجب للتنافر والبغض، ومثله الشراء على الشراء بغير إذن المشتري، بأن يقول آخر للبائع في زمن الخيار: افسخه وأنا أشتريه منك بأغلى.

وكذا يحرم السَوْم على سوم غيره والخطبة على خطبة غيره.

والسوم المحرم هو أن يزيد في الثمن بعد استقرار السوم الأول على ثمن معين ـ إلا أن يَرضى مَنْ له الحق، لأنّه حقه فله تركه والتنازل عنه.

روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «لا يبع المؤمن على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه».

وفي رواية لمسلم: «لا يَسُم المسلم على سَومِ أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه».

وفي رواية له أيضاً: عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ: «لا يبع الرجل على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه؛ إلا أَنْ يأذن له».

فلما كان ذلك كله فيه إيذاءٌ للغير، وفيه ما يُسبب التنافر والبغض؛ فقد نهى عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**وكونوا عباد الله إخواناً**».

ـ أي: اكتسبوا ما تصيرون به إخواناً، وهذا كالتعليل لما تقدم، وفيه إشارة إلى أنّهم إذا تركوا التحاسد والتباغض، والتناجش والتدابر، والبيع على بعضهم، والسوم على بعضهم إلى ما وراء ذلك مما نُهوا عنه فإنهم يصيرون إخواناً متحابين، متوادين، متعاطفين، متلاطفين، متعاونين على البر والتقوى، متفقين أفراداً وجماعة ومجتمعاً.

وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**وكونوا عباد الله**

إخواناً» فيه أمر بتحقق عقد الأخوة الإيمانية الذي عقده الله تعالى بين المؤمنين، وعهد به إليهم في قوله تعالى: ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾ ويدخل في ذلك سائر الحقوق الإيمانية التي تُحقق الأُخوة بين عباد الله تعالى، وقد بينها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذي قال الله تعالى له: ﴿**لتبين للناس ما نزل إليهم**﴾ كما سيأتي تفصيل ذلك إنْ شاء الله تعالى.

وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**المسلم أخو المسلم**» لأنّه يجمعهم دين واحد؛ وهو أخوة الإيمان، ومن المعلوم أنّ أخوة الدين أقوى وأعظم من أخوة النسب، فإن أخوة الشخصين ولادة من صلب أو رحم أو منهما ثمرتها ونفعها دنيوي، يذهب مع ذهاب العمر الذي يقضيه في الحياة الدنيا، وأما الأخوة الدينية الإيمانية فإنّ خيرها ونفعها هو باق ومستمر في الدنيا والآخرة.

قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره**».

وفي هذا الحديث تأكيد لعقد الأخوة بين المسلم والمسلم، فكيف يَظلم المسلم أخاه؟! سواء كانت تلك الظلامة تتعلق بماله أو دمه أو عرضه، وسواء في ذلك ظلم القول أو ظلم العمل، فإنّ ذلك كله حرام.

وقد حرم الله تعالى ربّ العالمين على نفسه الظلم، وحرمه على عباده كما جاء في الحديث القدسي الذي رواه مسلم وغيره عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال:

«**يا عبادي إنِّي حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محر ماً فلا تظالموا**».

فالظلم حرام ولو للكافر أو الفاسق، والظلم حرام ولو للحيوان والبهائم، فكيف تظلم أخاك؟!! فالظالم لَم ينل مرتبة النبوة، قال تعالى: ﴿**لا ينال عهدي الظالمين**﴾، ولا ينال مرتبة الولاية لأنه ملعون بنص: ﴿**ألا لعنة الله على الظالمين**﴾، وعاقبته وخيمة ولو بعد حين.

ويرحم الله القائل:

إذا ما شئتَ أن تحيا حياةً حلوة المحيا
فلا تظلم ولا تبخل ولا تحرص على الدنيا

وقال بعضهم:

لا تظلمنَّ إذا ما كنت مقتدراً
فالظلم آخره يأتيك بالندم
نامت عيونك والمظلوم منتبهٌ
يدعو عليك وعين الله لم تنم

وقد قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» الحديث.

وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ثلاثة لا تردُّ دعوتهم: الصائم حين يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يَرفعها الله تعالى فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الله تعالى: وعزتي وجلالي لأنصرنَّك ولو بعد حين».

قال العلماء: دعوة المظلوم لا تُرد ولو كان كافراً، لأنّه لم يَخرج عن كونه عبداً لله مظلوماً.

«**ولا يخذله**» بل ينصره بالحق على الوجه الحق، وفي الحديث الذي رواه أبو داود عن أبي طَلحة وجابر رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «ما منْ مسلم يَخذل امرأً مسلماً في

موضع تُنتهك فيه حرمته؛ وينتقص فيه من عرضه؛ إلا خذله الله تعالى في موضع يُحب فيه نصرته، وما من امرىء مسلم ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه عرضه؛ وتنتهك فيه حرمته؛ إلا نصره الله تعالى في موضع يحب فيه نصرته».

وفي رواية الإمام أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ أُذِلّ عنده مؤمن فلم يَنصره وهو يقدر على أنْ ينصره أذلّه الله تعالى على رُؤوس الخلائق يوم القيامة».

وروى البزار عن عُمران بن الحصين رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «من نَصر أخاه بالغيب نصره الله تعالى في الدنيا والآخرة».

«**ولا يكذبه**» فإنّ الكذب فيه غشٌّ وخيانة ومكر وخديعة.

روى الإمام أحمد في (مسنده) عن النواس بن سمعان عن النبي ﷺ أنه قال: «كبرت خيانة أنْ تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق وأنت به كاذب».

وروى الطبراني عن عبدالرحمٰن بن الحارث السلمي رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ فدعا بطَهور فغمس يده فتوضأ فتتبعناه فحسوناه ـ أي: شربنا من ماء وضوئه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ

فقال النبي ﷺ: «ما حملكم على ما فعلتم؟».

قلنا: حبُّ الله ورسوله.

قال: «فإنْ أحببتم أنْ يُحبكم الله ورسوله فأدُّوا إذا ائتمنتم، واصدقوا إذا حَدثتم، وأحسنوا جوار من جاوركم».

وروى الشيخان وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**عليكم بالصدق**.

أي: في أقوالكم وأعمالكم وأحوالكم - فإنّ الصدق يهدي إلى البِرِّ - أي: كمال الإيمان - وإن البِرَّ يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرَّى الصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقاً. **وإياكم والكذب** فإنّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنّ الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرَّى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً».

«**ولا يحقره**»: فإنّ الاحتقار للمسلم ناشيء عن الكبر واستصغار الغير، كما قال ﷺ: «الكبر بَطَر الحق وغمط الناس» الحديث، وفي رواية: «غمص الناس» - أي: احتقارهم واستصغارهم.. وفي رواية للإمام أحمد: «الكبر سَفَه الحق، وازدراء الناس فلا يراهم شيئاً».

«**التقوى ههنا**» ويشير إلى صدره الشريف ﷺ - ثلاث مرات.

والمعنى: أنّ موضع التقوى ومعدنها هو القلب، فإذا انصبغ القلب بتقوى الله تعالى انصبغت الجوارح بالعمل الصالح، والخلق المفلح الحسن الناجح، وتباعد عن الأخلاق الذميمة، والخصال اللئيمة من الحسد، والتباغض، والتدابر، والتنافس، وسائر المفاسد والمضارّ.

ومن المعلوم أنّ تقوى القلوب إنما تنشأ عن الخشية من الله تعالى ومراقبته سبحانه، والخشية سببها معرفة الله تعالى، والعلم بعظمته، وعظيم قدرته، وسعة علمه، وعزة سلطانه، وعلوِّ شأنه، واليقين الكامل باطلاعه سبحانه على خفايا القلوب، وخفايا النفوس، وضمائر السرائر، فإذا علم ذلك صار عنده خشية من الله تعالى فاتقاه.

قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أما والله إنِّي

لأخشاكم لله وأتقاكم له».

وقال ﷺ: «إنِّي لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية» الحديث.

فتأمل بهذه المقارنة تفهم المناسبة بين العلم والخشية.

قال تعالى: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ الآية.

قال بعض العارفين نفعنا الله تعالى بهم أجمعين: وفي إشارته ﷺ إلى صدره الشريف إذ يقول: «التقوى ههنا» قال: فيه إشارة إلى أنّ الحقيقة الجامعة للتقوى، وأصلها الثابت، ومصدرها ذلك كله في صدره الشريف ﷺ، وفروعها في قلوب المؤمنين، لأنّه محل عين الجمع الجامع، الجامع لكل كمال، ولكل خير ونوال، بنص قوله تعالى: ﴿**إنا أعطيناك الكوثر**﴾ والكوثر على وزن: فَوْعل وهو من الصيغ الدالة على كثرة الكثرة، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿**إنا أعطيناك الكوثر**﴾ قال: يعني الخير الكثير في الدنيا والآخرة، فقيل له: الكوثر هو نهر في الجنة فقال: نعم هو من الخير الكثير. اهـ.

ومن هنا قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إنما أنا قاسم والله المعطي» فهو ﷺ الفياض بالخيرات والبركات، والرحمات المتدفقة عليه من ربِّ الأرض والسماوات ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلينا أجمعين، صلاة أزليّة أبدية حَق قدره ومقداره العظيم.

كما أنّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو المرآة الأولى الكبرى، والمجلى الأعظم الذي تجلَّى فيها نور الله تعالى، ثم عكست النور على مرايا القلوب القابلة المستمدة، فأشرق منها النور في كل مرآة على حسبها، وسعتها، واستعدادها، وكمال توجهها إلى مرآته ﷺ.

وإنّ مرايا قلوب المؤمنين هي على مراتب متعددة، ولا ينكر

هذا الكلام المتقدم إلا جاهل، قال تعالىٰ: ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور**﴾.

فتدبر قوله تعالى: ﴿**وإنّك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله**﴾ بعد أن قال سبحانه: ﴿**وكذلك جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا**﴾ تفهم المعنى ـ فلا تنكر مقام وساطته، ولا مقام وسيلته، ولا مقام شفاعته صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً.

فالله تعالى هو الهادي برسول الله ﷺ مَن يشاء سبحانه هدايته، كما قال ﷺ في خطبته بالأنصار: «ألم أجدكم ضُلالاً فهداكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي» الحديث فلا تنكر قوله: «بي».

وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم**» والمعنى: كافيه من الشر العظيم احتقاره لأخيه المسلم بأيّ نوع من أنواع الاحتقار والاستهزاء، أو السخرية منه، أو الغيبة، أو النميمة، أو الطعن فيه، أو النظر إليه بعين الصغار، أو الترفع عليه، أو التطاول عليه بالكلام، أو السَبِّ والشتم، أو اللعن، أو الكلام البذيء... إلى غير ذلك من المُخزيات والمؤذيات.

فإنّ المسلم كريم على الله تعالى، أودع الله تعالى فيه جوهرة النور الإيماني؛ ولَوْ كان ناقص الإيمان؛ ولو كان مقصراً في بعض الأعمال الصالحة؛ فلا يجوز تحقيره ولا احتقاره بعد أن شرَّفه الله تعالى بالإسلام، وأكرمه ومنّ عليه بنعمة الإيمان، ثم

يدخله دار السلام والرضوان في ضيافة الرحمٰن، وجوار الكريم الديَّان، فما أشرف المؤمن وما أكرمه؟!! إنّه سوف يدخل جنة الله ودار ضيافته وكرامته في جملة أحبابه ومقربيه ـ اللهم آمين.

وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**».

هذه الأمور الثلاثة هي كالأصول الجامعة لجميع المحرمات التي ينشأ عنها أذى المسلم لأخيه، ومِنْ ثَمَّ كان ﷺ كثيراً ما يذكر حرمتها مقرونة ببعضها، ويخطب بذلك في المجامع العظيمة والجماهير الحافلة.

فقد خطب بذلك ﷺ في حجة الوداع: يوم النحر ويوم عرفة، وفي اليوم الثاني من أيام التشريق[1] وقال ﷺ: «إنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا».

وفي رواية: فأعادها مراراً ثم رفع رأسه الشريف ﷺ وقال: «اللهم هل بلغت» ثلاثاً «اللهم اشهد» وقال: «ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب».

وفي رواية: «فإنّ الله حَرَّم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم إلا بحقها».

وفي رواية: «دماؤكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام مثل هذا اليوم، وهذا البلد؛ إلى يوم القيامة، حتى دفعة يدفعها مسلم مسلماً يريد بها سوءاً: حرام».

وفي رواية: «المؤمن حرام على المؤمن كحرمة هذا اليوم،

---

(١) كما جاء ذلك بروايات متعددة، منها في (الصحيحين) ومنها في (السنن) و(المسانيد).

لحمه عليه حرام أن يأكله أو يغتابه، وعرضه عليه حرام أن يَخرقه، ووجهه عليه حرام أن يلطمه، ودمه عليه حرام أن يَسفكه، وحرام عليه أن يَدفعه دفعة بغتة».

وقد نهى رسول الله ﷺ عن جميع أنواع الأذى بأيِّ وجهٍ من وجوه الأذى؛ من قول أو فعل مِن جِدٍّ أو هزل، أو لعب، أو ممازحة.

فقد روى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صعد النبي ﷺ المنبر فنادى بأعلى صوته: «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يُفْضِ الإيمان إلى قلبه: لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيِّروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنّه من تَتَبَّع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومَنْ تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله».

ونظر ابن عمر رضي الله عنهما يوماً إلى الكعبة فقال: ما أعظمك، وما أعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منكِ - هكذا في الترمذي -.

وروى ابن ماجه بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رأيت النبي ﷺ يطوف بالكعبة وهو يقول: «ما أطيبك، وأطيب ريحك، وما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله تعالى حرمة منك؛ ماله، ودمه؛ وأن يُظَنَّ به إلا خيراً».

ومن ذلك نهيه ﷺ عن ترويع المسلم: كما جاء في (سنن) أبي داود أن رجلاً جاء إلى بعض الصحابة معه حبل فأخذها منه ففزع صاحب الحبل.

فقال ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يُروِّع مسلماً» - أي: بأن يُدخل عليه الفزع والروع هازلاً أو جاداً.

وروى الترمذي وأبو داود وأحمد عن السائب بن يزيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يأخذ أحدكم عصا أخيه لاعباً ولا جادّاً، فمن أخذ عصا أخيه فليردّها عليه».

وعن عامر بن ربيعة رضي الله عنه: أنَّ رجلاً أخذ نعل رجل فغيَّبها وهو يمزح، فذُكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لا تروِّعوا المسلم فإنّ روعة المسلم ظلم عظيم»[1].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «من أخاف مؤمناً كان حقاً على الله أن لا يُؤمنه من أفزاع يوم القيامة»[2].

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «من نظر إلى مسلم نظرة يُخيفه فيها بغير حق أخافه الله تعالى يوم القيامة»[3].

كما نهى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن كل ما يُدخل الحزن على المسلم.

ففي (الصحيحين) ـ واللفظ لمسلم ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون الثالث، فإنّ ذلك يُحزنه».

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يتناجىٰ اثنان دون الثالث، فإنّ ذلك يؤذي

---

(١) رواه الطبراني والبزار وأبو الشيخ.

(٢) رواه الطبراني في (الأوسط).

(٣) رواه الطبراني وابن حيان.

المؤمن، والله تعالى يكره أذى المؤمن».

قوله تعالى: ﴿**إنّما المؤمنون إخوة**﴾.

فقد جعل الله تعالى عقد أخوة بين المؤمنين ليتعاطفوا، ويتراحموا، ويتعاونوا على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، قال تعالى: ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**..﴾ الآية.

فإنّ المؤمنين وإنْ تعددوا لكنهم كالجسد الواحد المشتمل على عدة أعضاء، كلها محتاجة إلى بعضها وسند لبعضها.

روى الشيخان[1] وغيرهما عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم؛ مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

وجاء في رواية: «المؤمنون كرجل واحد، إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى».

وفي رواية: «المؤمنون المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله».

وروى الشيخان وغيرهما عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً».

وروى أبو داود والبخاري في (الأدب المفرد) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «المؤمن مِرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكفّ عليه ضيعته ويحوطه من ورائه».

والمعنى: أنّ كل مؤمن هو مِرآةٌ لأخيه المؤمن ـ فأنت يا

---

(١) واللفظ لمسلم.

مؤمن يَرى أخوك حالَه فيك، لأنّك مرآته؛ وأنت ترى حالك فيه لأنّه مرآتك، فإنْ شهدتَ في أخيك خيراً فهو لك تنبيه حتى تتحقق فيه، وإنْ شهدتَ غير ذلك فهو لك تحذير.

وأخوك المؤمن أَنْتَ مرآته أيضاً، ينتبه إلى ما فيك من خير، ويحذر غير ذلك.

وكل من الأخوين مطالب بأن يُزيل الأذى والفساد والشر عن الآخر إذا رآه فيه ويحذره منه، ومطالب بأن يكف عليه ضيعته.

قال العلامة المناوي: أي: يجمع عليه معيشته ويضمها له.

ومعنى يحوطه من ورائه: أي: يحفظه ويصونه، ويذب عنه السوء والشر، فيدفع عنه من يغتابه أو يلحق به ضرراً.

قال بعض العارفين: كن رداءً وقميصاً لأخيك المؤمن، وحطه من ورائه، واحفظه في نفسه، وعِرضه وأهله وماله، فإنك أخوه بالنص القرآني، فاجعله مرآة تَرى فيها نفسك، فكما تزيل عن نفسك كل أذى تكشفه لك المرآة؛ فأزل عنه كل أذى به عن نفسه. اهـ.

وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إنّ أحدكم مرآة أخيه، فإنْ رأى به أذىً فليمطه عنه» - أي: يزيله عنه.

وأوصى بعضهم عمر بن عبدالعزيز فقال له: اجعل كبير المسلمين عندك أباً، وضعيفهم ابناً، وأوسطهم أخاً، فأيّ أولئك تحب أن تسيء إليه. اهـ.

ومن حقوق الأخوة الإيمانية أن تحب لأخيك ما تحبه لنفسك من الخير، وتكره لهم ما تكرهه لنفسك.

روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله

عليه وعلى آله وسلم قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

ورواه الإمام أحمد بلفظ: «لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير».

وروى الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال له: «أحبَّ للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً» الحديث.

وروى الإمام أحمد عن يزيد بن أسد قال: قال لي النبي ﷺ: «أتُحب الجنة؟» قلت: نعم.

قال: «فأحب لأخيك ما تحب لنفسك».

وروي أيضاً عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ عن أفضل الإيمان.

فقال ﷺ: «أفضل الإيمان أنْ تُحب لله، وتُبغض لله وتُعمِل لسانك في ذكر الله».

قال معاذ: وماذا يا رسول الله؟

قال: «أن تُحب للناس ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك، وأن تقول خيراً أو تصمت».

فمن جملة حقوق الإخوة الإيمانية محبة المؤمن لأخيه ما يحبه لنفسه من الخير، ويعتبر ذلك من خصال الإيمان الواجبة على كل مؤمن أن يتحقق بها، وليست هي من باب المندوبات والمستحبات.

ويدلك على وجوبها ولزومها وأنها من الحقوق المسؤول عنها الأحاديث الآتية:

أولاً: أن دخول الجنة موقوف عليها فقد جاء في (صحيح)

مسلم كما تقدم أنّ النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم».

ثانياً: حديث أبي هريرة المتقدم آنفاً وهو قوله ﷺ: «وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً»، فرتب صفة الإيمان على تلك المحبة لأخيه المؤمن.

ثالثاً: ما جاء في (صحيح) مسلم من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس بالذي يحب أن يُؤتى إليه».

قال عبدالله: الله أكبر ما أعظم هذا الدين، وما أشرفه، وما أكرمه، وما أحسنه، وما أكمله، وما أفضله؟!! إنّه دين الإسلام، والسلام، والوئام، ودين الوفاء، والمحبة، والإخاء، والنصيحة، والنقاء، والصفاء، إنه دين أداء الحقوق والواجبات للخالق والمخلوقات، والقيام بالمسؤوليات في الجامع، والشارع، والسوق، والبيوتات، وفي المجالس والمجتمعات ـ دين العزة والكرامة والصدق والاستقامة، وتوقير الكبير ورحمة الصغير ـ وكل أولئك كان عنه مسؤولاً يوم الجمع الذي لا ريب فيه، قال تعالى: **﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾**.

وسوف تمر على بيان قسم من الحقوق الإيمانية الواجبة على كل مؤمن ومؤمنة لكل مؤمن ومؤمنة أذكرها حسب مناسبتها للآيات الكريمة، مع بيان الأحاديث النبوية التي هي بيان لكتاب الله تعالى قال سبحانه: **﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾** ـ ومنها تعلم تلك المبادىء السامية التي جاء الإسلام يدعو إليها، فهي أسمى المبادىء التي فيها سعادة البشر، وأكمل

التعاليم التي فيها صلاح العباد ونجاحهم وفلاحهم؛ وبذلك تَعرف الفارق الكبير بين ما دعىٰ إليه دين الإسلام وأرشد إليه من كل خير للعباد والبلاد، وبين ما عليه كثير من المسلمين من الشحناء والبغضاء، والحقد والحسد، والكذب، والنميمة والغيبة، والغش والخداع، والمكر والنفاق والخيانة بأنواعها، والشح والبخل، وعدم حفظ العهد، وعدم حفظ الود، والوفاء بالوعد، وتتبع زلات بعضهم؛ إلى غير ذلك مما يُخالف المبادىء التي جاء بها دين الإسلام ـ إلا من رحم الله تعالى فوقاه وحفظه وتولاّه وعناه ورعاه.

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، **اللهم** ارزقنا حبك وحب من يحبك، وحب عمل يقربنا إلى حبك ـ آمين بجاه سيد المرسلين صلوات الله تعالى عليه وعليهم أجمعين.